المقامة في الأدب العربي الجزائري

من القرن الثاني عشر حتى القرن الثامن عشر

أ٠ د٠ عمر بن قنية
قسم اللغة العربية - كلية الإنسانيات
جامعة قطر

عُرف أول نموذج من (المقامة) في الأدب الجزائري في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، فقطع أشواطًا متباينة حتى النصف الثاني من القران الرابع عشر الهجري (منتصف القرن العشرين)، فتعددت نماذجها، واختلفت في حجمها، وأسلوبها، ولغتها. فضلاً عن المضامين التي ترتبط بفترات وأوضاع مختلفة، وهو ما سنحرص هنا على تتبع أهم نماذجه في أكبر محطاته عبر ستة قرون .

إن نشأة (المقامة) ارتبطت باسم واحد من أهم أعلامها الأولين، أو أهم أعلامها من أولئك، وهو (أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني) المولود سنة (٣٥٨هـ / ٩٦٨م) المتوفى سنة (٣٩٨هـ/١٠٠٧م). لقد اشتق اسم (المقامة) من كلمة (المقام) التي تعني (المجلس) مكانا وجماعة حيث ينهض متحدث يلقي على أسماع الجماعة كلاما، فهي إذن الحلقة التي يدور فيها حديث متميز ذو طابع استثنائي: للوعظ أو للإمتاع أو سوى ذلك ، في أسلوب قصصي بليغ ، يعتمد الزخرفة اللفظية، والأناقة في التعبير، والتصوير . وقد أطلق (بديع الزمان الهمذاني) المصطلح (مقامة) في وصف مقاماته التي استندت إلى

شخصيتين أساسيتين هما بطل (المقامات) : (أبو الفتح الاسكندري) ، والراوي (عيسى بن هشام) في كل المقامات الإحدى والخمسين، حيث يشيع الحوار فيها بين (أبي الفتح الاسكندري) وهو رجل علم وفكر وأدب ، لكنه محتال، في زمن غادر متقلب. و(عيسى بن هشام) الراوية : رحالة تاجر ، وتقوم على الاستجداء والخداع والاحتيال طلبا للرزق في قالب من السخرية والنكته متوسلة بالبراعة الأسلوبية للتعليم والإمتاع في صيغ شتى للتمويه والتضليل فيظهر (أبو الفتح الاسكندري) في صورة "أديب شحاذ يجلب الجماهير ببيانه العذب ويحتال بهذا البيان على استخراج الداهم من جيوبهم" [1]. متعللاً بالظروف الظالمة، التي تضطره كرجل فكر وعقل للبحث عن المسوّغات لفعله، فيخاطب صاحبه (عيسى بن هشام) في أولّ (مقامة) هي (المقامة القريضية) ببيتين للشاعر (أبي دلف):

ويْحك هذا الزمانُ زُور ... فلا يغرنّـــك الغرُور

لا تلتزم حالـة ولكـنْ ... دُر بالليالي كما تدور .

لقـد ولد (أبو الفـضل أحـمـد بن الحسين)، في (همـذان) إحـدى المدن الإيرانيـة (سنة٣٥٨هـ) لأسرة عربية، حيث درس على أبيه، ثم انتقل وعمره اثنتان وعشرون سنة إلى (الريّ) قـاصدا (الصاحب ابن عباد) الوزير(البويهي) ثم انتقل إلى (نيسابور) ثم (هراة)، حيث تزوج، وأنجب أولادا، وحاز املاكا ومزارع، وفيها لقي ربه (سنة ٢٩٨هـ) بعدما أرسى دعائم فن عربي أصيل، حمل اسم (المقامات) انجزه في (إيران) حيث أطلق على (مقاماته) أسماء بلدان (فارسية) و(عربية) أو أسماء حيوانات، أو أكلات، مثل (المضيرية) أو موضوعات مثل (الإبليسية) و(الوعظية) و(القريضية). وقد فتن بسجعه معاصريه وأثّر في تلاميذه،" فالأصل عنده أن يسجع ولا يترك السجع إلا نادراً، وكانت تسعفه في ذلك حافظة نادرة، وبديهة حاضرة، وذكاء حاد، وإحساس دقيق باللغة

مترادفاتها وابنيتها واستعمالاتها المختلفة" كما يقول الدكتور (شوقي ضيف) الذي يضيف عنه " فما هي إلا أن يتوجه إلى الكلام حتى تنهال عليه الألفاظ من كل جهة، كأنها السيول تفد من كل صوب، وكان يعرف كيف يفيد من هذه السيول.. ومن هنا كان سجعه في جملته خفيفا رشيقا، فليس فيه تكلف وليس فيه صعوبة ولا جفاء، فهو دائما كأنما يستمد من فيض لغوي لا ينفد، وتراه إزاء المعنى وكأنه الصائد الماهر الذي يحسن إلقاء شباكه على صيده فلا يخطئه ، بل يصيبه دائما، ويخيل إليك كأنه يجمع نفسه جمعا إزاء الكلمات اللغوية، فإذا هو قد أحصاها إحصاء، وإذا هو يجيء بما يوافقه ويريده منها وكأنه يمسك بزمامه"[٢].

ولم يكد يشيع هذا النوع الأدبي حتى جلب إليه الأفئدة والأنظار منذ هذه الفترة المبكرة (في القرن الرابع الهجري) فشرع يتبارى فيه بعض الكتاب، مثل (ابن نباتة السعدي) المتوفى (سنة ٤٠٥هـ) ثم (أبو القاسم عبدالله بن ناقيا) المتوفى سنة (٤٨٥هـ) وكذا (أبو الطاهر محمد بن يوسف السُّرقُسْطي) المتوفى سنة (٥٣٨هـ) لكون النوع جديداً جذابًا مغريا بألفاظه ومعانيه الأمر الذي جعل شارح مقامات الهمذاني الشيخ (محمد عبده) يقول فيه " من أشرف ما امتاز به كلامُه أنه يباهي كلام أهل الوبر رصانة ورفعة، ويمتزج بطباع أهل الحضر رقة ورواء صنعة؛ فبينما يخيل لسامعه أنه بين الأخبية والخيام إذ يتراءى له أنه بين الأبنية والآطام "[٣].

أما الذى الذي أبدع في ذلك بمستوى رفيع بعد (الهمذاني) فهو (أبو محمد القاسم الحريري) المولود سنة (٤٤٦هـ/١٠٥٤م) المتوفى سنة (٥١٦هـ / ١١٢٢م) بمقاماته (الخمسين) المشهورة باسمه (مقامات الحريري). وهو من مواليد (البصرة) متضلع في العلوم اللغوية والدينية والنحوية، فذاعت شهرته في العالم الإسلامي، وأقبل عليه الطلبة، حتى قيل: إنه أجاز (سبع مئة) طالب لرواية (مقاماته) نفسها، وهي على ما هي عليه

من مستوى لغوي عال جدا بالدرجة الأولى، وهي المقامات التي كتبها فيما يُظن ببغداد، نزولا عند إلحاح الخليفة المستظهر (٤٨٧هـ / ٥١٢هـ) الذي " كان له حظ من الأدب وعناية بأهل العلم "[٤]. وقد عبر (الحريري) عن ذلك في مقدمة (مقاماته) معلنا بوضوح المناسبة والمحرض لإشاعة حيوية أدبية في محيط راكد، فقال بعد نحو ثلاث صفحات إنه " قد جرى ببعض أندية الأدب الذي ركدت في هذا العصر ريحُه، وخبت مصابيحه ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة همذان رحمه الله تعالى، وعزا إلى أبي الفتح الإسكندري نشأتها وإلى عيسى بن هشام روايتها، وكلاهما مجهول لا يُعرف ونكرة لا تتعرف؛ فأشار من إشارته حكم وطاعتهُ غُنْم إلي أن أنشىء مقامات أتلو فيها تلو البديع، وإن لم يدرك الظالع شأو الضليع ، فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ونظم بيتا أو بيتين، واستقلت من هذا المقام الذي فيه يحار الفهم ويفرط الوهم، ويسبر غور العقل، وتبين قيمة المرء في الفضل، ويضطر صاحبه إلى أن يكون كحاطب ليل، أو جالب رَجْل وخيل، وقلما سلم مكثار، أو أقيل له عثار، فلما لم يسعف بالإقالة ولا أعفى من المقالة، لبيت دعوته تلبية المطيع، وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع، وأنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة وفطنة خامدة وروية ناضبة وهموم ناصبة خمسين مقامة تحتوي على جدّ القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله، وغرر البيان ودُرره، وملح الأدب ونوادره، إلى ما وشحتها به من الآيات، ومحاسن الكنايات، ورصعته فيها من الأمثال العربية، واللطائف الأدبية والأحاجي النحوية، والفتاوى اللغوية، والرسائل المبتكرة، والخطب المحبرة، والمواعظ المبكية والأضاحيك الملهية، مما أمليت جميعه على لسان أبي زيد السروجي، وأسندت روايته إلى الحرث ابن همام البصري، وما قصدت بالإحماض فيه إلا تنشيط قارئيه وتكثير سواد طالبيه، ولم أودعه من الأشعار الأجنبية إلا بيتين فذين أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية وآخرين توأمين ضمنتهما خواتم المقامة الكرجية، وما عدا ذلك فخاطري، أبو عذره ومقتضب حلوه ومره، هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق غايات، وصاحب آيات ..."[٥].

ومقامات (الحريري) نفسها تبقى مرتبطة بالكُدية والاستجداء، وهو ما يلتقي فيه مع (الهمذاني) بتفاوت، كما يرد ذلك التفاوت في الاهتمام بالوعظ، ومستوى اللغة الصعب أكثر لدى (الحريري).

إن ذكر (الحريري) نفسه أن شخصيتي(المقامات) لدى (الهمذاني) خياليتان، فهو لم يقل شيئا مهما عن شخصيتي مقاماته الخمسين : البطل (أبي زيد السروجي) والراوية (الحرث) أو (الحارث بن همام) وإن عنى نفسه بشكل ما بشخصيته (الحارث بن همام) كما ورد في هامش (مقدمة) لمقاماته الخمسين " أخذا من قوله عليه الصلاة والسلام : كلكم حارث وكلكم همام " فإن (أبا زيد السروجي) البطل يرى بعض الباحثين أيضًا أنه حقيقي من دون أن يقوم دليل على ذلك، ويبقى الصواب أن (الحريري) ابتدع (شخصيتيه) من (خاطره) كما يقول مثلما ابتدعهما سلفه أيضًا، فهو وإن عنى نفسه بالحارث، فإن ذلك لا يخل بأمر ابتداع الشخصية الفنية .

وفي سياق تعبير الحريري ما يفيد هذا الرأي، من مقدمته ذاتها التي كتبها لمقاماته، وعرضنا أهم جزء منها : فيبقى أبو زيد السروجي إذن في النهاية لدى (الحريري) مثل أبي الفتح الإسكندري عند (الهمذاني) والحارث بن همام كعيسى بن هشام ، وقد ارتقى الفن بالواقع .

يبقى الجانب التعليمي، والترفيهي ، وعناصر السخرية والإضحاك أمر قائما مما حفلت به مقامات (الهمذاني) و(الحريري) مع وظيفة لغوية واجتماعية، وفكرية، فضلا عن القصد الأدبي الذي باح به (الحريري) نفسه .

لقد نضج (فن المقامات) بقلم (الهمذاني) في القرن الرابع الهجري (القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين) حتى بات نوعا يحتذى مع (الحريري)، وهذا في المشرق العربي، فماذا عن المسار العام لهذا النوع الأدبي بعد (الهمذاني) و(الحريري) في المغرب العربي ؟

لقد اطرد الإبداع في هذا النوع الأدبي مشرقا ومغربا، لكننا نعتقد أن أحسن من تبوأ مكانة فيه بعد (الحريري) هو الكاتب الجزائري المبدع (ابن محرز الوهراني) في القرن (الخامس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) الذي استطاع أن يعالج جوانب مختلفة على أيامه : سياسية ودينية وثقافية واجتماعية، واقتصادية بلغة رفيعة جدا، وبأسلوب أخاذ حافل بالسخرية، وروح الكُدْية، التي تجاوزت مقاماته، إلى رسائله ومناماته ، التي تتضمن أشكالا من صيغ (المقامة) التي سيبدأ يتطور الشكل فيها: أبطالاً، ومقاصد، في الأدب الجزائري ابتداء من هذه الفترة، استغل فيها (الوهراني) تجربته المرة في (الجزائر) وفي (الشرق) كما عكست إمكاناته الفكرية والأدبية التي نلسمها بوضوح في عمله الأدبي الذي يحمل عنوان : " مناميات الوهراني ومقاماته ورسائله "[٦]. في أكثر من (ثلاث مئة صفحة) ضمّت نصوصا قال عنها الدكتور (عبدالعزيز الأهواني) : إنها " تمتاز في تاريخ النثر الفني في الأدب العربي بميزات ترفعها إلى مقام عال ، ولا نكاد نجد في النثر العربي القديم فيها ما في كتابات الوهراني من حيوية وذكاء ولمحات تعبر عن شخصية الكتاب وتصور في دقة وبلاغة بعض جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية في عصر من عصور التحول، في المجتمع العربي"[٧] .

إن نص (الوهراني) من عيون النثر العربي الجزائري، بل هو أجود نص - أدبيا وفكريا - في النثر الجزائري فيما نعلم على أيام (الكاتب) إلا ما قد تكشفه الأيام والبحوث مستقبلاً.

إن التعامل مع البحث في تاريخ (الأدب العربي الجزائري) وإنجازات أعلامه لم يكشف بعد إذن عن أثر ما .. في فن المقامة قبل تجربة (الوهراني).

والشيخ (ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني) من فقهاء (الجزائر) وأدبائها في غرب الوطن، عاش في فترة الصراع على الحكم في الغرب الإسلامي كله، فشهد سقوط الدولة المرابطية على أيدي الدعوة "الموحدية" التي نهضت بدعوة (محمد بن تومرت) وزعامة (عبدالمؤمن بن علي) فبويع الأول سنة (٥١٥ هـ / ١١٢١م) مسميا أتباعه "الموحدين" منتحلا نسبا عربيا له "يدعم به صفة المهدي التي انتحلها شعاراً لإمامته ورياسته الدينية السياسية.." [٨]. وتوطد الحكم (الموحدي) في الغرب الإسلامي على يد خليفة (ابن تومرت) وتلميذه (عبدالمؤمن بن علي) الذي "خرج في حشوده الموحدية الجرارة من تينملل في سنة ٥٣٥هـ (١١٤٠م) واستمر زهاء سبعة أعوام يشخن في أنحاء المغرب .. ويوقع بالجيوش المرابطية مرة بعد أخرى[٩]" من غرب (المغرب العربي) إلى (شرقه) وحتى الأندلس، حيث تم بسط النفوذ الموحدي بالحديد والنار، كما وصفه (الوهراني) نفسه في المقامة (البغدادية) التي تحدث فيها عن هجرته من وطنه إلى (المشرق) كمقدمة لكتابه السالف الذكر، حيث يقول عن صعوبة الحياة في وطنه، ومعاناته فيها وضعا حافلا بالهزات السياسية العنيفة ما يلي : " لما تعذرت مآربي واضطربت مغربي ألقيت حبلي على غاربي وجعلت مذهبات الشعر بضاعتي، ومن أخلاف الأدب رضاعتي، فمامررت بأمير إلا حللت ساحته، واستمطرت راحته ولا وزير إلا قرعت بابه وطلبت ثوابه،ولا بقاض إلا أخذت سيبه وأفرغت جيبه، فتقلبت بين الأعصار وتقاذفت بي الأمصار حتى قربت العراق، وسئمت من الفراق ، فقصدت مدينة السلام لأقضي حجة الإسلام، فدخلتها بعد مقاساة الضر ومكابدة العيش المر، فلما قرّ بها قراري ، وانجلى فيها سراري، طفتها طواف المفتقد، وتأملتها تأمل المنتقد، فرأيت بحراً لا يعبر زاخره، ولا يبصر آخره،

وجنة أبدع جنّانها وفاز باللذة سكانها، لا يميل عنها المتقون، ولا يرتقي إلى صفها المرتقون فأرحت نفسي من سلوك الغور والفجّ، وجلست انتظر أيام الحج ، وتاقت نفسي إلى محادثة العقلاء واشتاقت إلى معاشرة الفضلاء، فدلني بعض السادة الموالي إلى دكان الشيخ أبي المعالي، فقال هو بستان الأدب، وديوان العرب، يرجع إلى رأي مصيب، ويضرب في كل علم بنصيب، فقصدت قصده حتى جلست عنده، فحين نظر إلي ورأى أثر السفر علي بدأني بالسلام وبسطني بالكلام، وقال : من أي البلاد خرجت وعن أيها درجت ؟ فقلت من المغرب الأقصى والأمد الذي لا يحصى، ومن البلد الذي لا تصل إليه الشمس حتى تكل أفلاكها وتضج أملاكها، ولا القمر حتى يتمزق سرجه ويتداعى برجه، ولا الرياح حتى يحجم إقدامها وتحفى أقدامها. قال : كيف معرفتك بدهرك ومن تركته وراء ظهرك، فقلت : أما البلاد فقد دستها وجستها، وأما الملوك فقد لقيت كبارها وحفظت أخبارها... فأي الدول تجهل وعن أيها تسأل؟ فقال : أول ما أسألك عن دولة الملثمين وأبناء أمير المسلمين ، فقلت : هيهات يا بُعْد من مات، خمدت نارهم وبادت آثارهم واسود ناديهم ، وملكتهم أعاديهم :

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم ... بعد الممات جمال الكتب والسير

أمست خلاء وامسى أهلها احتملوا ... أخنى عليها الذي أخنى على لبد

قال : فما تقول في عبد المؤمن وأولاده وسيرته في بلاده ؟ فقلت : مؤيد من السماء مسلط على من فوق الماء ، خضعت له ذوو التيجان وخدمته الإنس والجان، ولو أن للقلم لسانا وللورقة إنسانا لتألمت وتظلمت، ولانشدتك في الملأ ، قول الشيخ أبي العلا :

جلوا صارما وتلوا باطلا ... وقالوا صدقنا فقلنا نعم !

ولكن السكوت عن هذا أنجح ومسالمة الأفاعي أصلح[١٠]".

ولد الوهراني في (وهران) على الأرجح لقرينة النسبة، وبها نشأ في وضع متقلب، حيث يلاحظ تأسفه على الحكم المرابطي وضيقه بالحكم الموحدي، ولد في تاريخ لا يزال مجهولا، وهاجر من (الجزائر) بعد سنة (٥٦٥هـ) إلى المشرق العربي، فيذكر (خير الدين الزركلي) صاحب (الأعلام) أن (الوهراني) " قدم الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين ، فاجتمع فيها بالقاضي الفاضل والعماد الإصبهاني وغيرهما من أئمة الإنشاء ..."[١١]. ومن (مصر) انتقل إلى بعض الأقطار العربية الأخرى، كالعراق وسوريا، حتى استقر في (داريا) من قرى (دمشق) وفيها تولى الخطابة حيث لقى ربه سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م) تاركا عدة آثار أدبية وفكرية، منها مجلد في التاريخ صرح به هو نفسه، ولم تعرف طبيعته، كما ذكرت له أعمال أخرى، لكن يبقى أهمها كتابه الأدبي الفكري (المنامات والمقامات والرسائل) وهو (ديوان) من النثر الأدبي العربي الجزائري الجيد، حتى وصف صاحبه أنه من "أئمة الإنشاء" . كما تعلن ذلك مناماته ومقاماته ورسائله، فقال " ابن خلكان لولم يكن فيها إلا المنام الكبير لكفاه، وزاد ابن قاضي شبهة : فأنه ما سبق إلى مثله "[١٢]. وهي كلها أحكام تضع (الوهراني) في مكانة رفعية كأديب، فضلا عن كونه عالم دين، وبعضها يحدد طبيعة ما يكتب الوهراني من فنون الأدب، لميل له نحو الكتابة الساخرة بحيث تصفه بأنه " منشيء من أكابر الظرفاء " لكنه حين التقى أئمة الأدب مثل (العماد الاصبهاني) من أئمة الإنشاء ولم يكن من طبقتهم ؛ فعدل عن طريق الجد وسلك مناهج الهزل؛ فأقبل الناس على أقواله ورسائله" وهي أحكام مستمدة أساسًا من مجموع (منامات الوهراني ومقاماته ورسائله) الذي سبق ذكره، فما هو هذا العمل الأدبي للوهراني في خطوطه العامة ؟ لقد حفل هذا المجموع بتحف أدبية من النثر الرفيع، تزاوج فيها الواقع بالخيال، فيها تصوير لجوانب مختلفة عديدة لعصره ، كما فيها

تصوير لحاله.. وحياته في صلاته بالناس حكاما وأدباء وسواهم، فحفلت بالنقد اللاذع والتهكم والسخرية المرة، من أوضاع سياسية وثقافية واجتماعية، مع نزوع واضح إلى الكتابة الترفيهية التي توظف تارة، أو من دون وظيفة تارة أخرى، الأمر الذي جعل الكاتب يجنح كثيراً إلى الإحماض، كوسيلة (ترفيهية) مبتذلة لدغدغة مشاعر (الغوغاء) ذات الميول السوقية، في سلوك وتعبير يحفل بالكلمات البذيئة الخاصة بالغريزة الحيوانية نفسها، وهي أمور تخرج عن نطاقنا هنا حيث نحصر حديثنا في هذا المجموع الحافل بشتى الموضوعات. في هذا المجموع : الرسائل الأدبية بطابعها الشخصي أو العام في صيغها الأدبية الرفيعة، وهناك (المنامات) التي يلعب فيها الخيال دوراً كبيراً، كما أن هنالك ما يمكن وصفه بالصور والخواطر والملح ، كما أن هنالك بالضرورة (المقامات) التي ألقت بظلالها على الموضوعات الأخرى أو بعضها بعبارة أدق ، كالمنامات ، والرسائل . ومن قراءة (المجموع) تبدو غلبة (الرسائل) منها السياسي، ومنها الفقهي، ومنها الأدبي، والإخواني، والخاص، كهذه الرسالة إلى أمّه في (وهران) وقد نحا فيها النحو الذي نهجه في كتابته الساخرة المشبعة بالظرف والفكاهة، فقال : " مني إلى أمي ، أما بعد : فإني ما أفلحت عندك ولا ها هنا ، دخلت القيروان بكرة، واشتهيت أخذ الولاية ضحوة ، وأتزوج بنت السلطان عشية، فلم تساعدني المقادير، فرجعت إلى سوق البز أبيع وأشترى، أبيع ثيابي وأشتري الخبز إلى أن نفدت البضاعة، فلزمت المساجد في أوقات الصلوات أسرق لوالك المصلين، وأرهنها عند اليهود الخمارين .. طيبي قلبك من جهتي، وإن قيل لك عني إني مدبّر فلا تصدقي والسلام "[١٣].

وقد اشتمل ضرب من رسائله الاخوانية السياسية والأدبية على ملح شتى وطرائف مختلفة، ومنامات جاءت في السياق من دون أن تبدو نابية، كحال (المنام الكبير) الذي استغرق نحو أربعين صفحة، انطلاقًا من مخاطبة صاحبه التي افتتحها بالشعر مرحبًا

بالرسالة الوافدة عليه، ليتمطى ذلك على امتداد أربع وعشرين صفحة، فيقول : " وصل كتاب مولاي الشيخ الأجل الإمام الحافظ الفاضل الأديب الخطيب المصقع الأمين، جمال الدي ركن الإسلام ، شمس الحفاظ ، فخر الكتاب زين الأمناء... فكان الذ من النار في عين المقرور، وأعذب من الماء البارد في صدر المحرور، وتناوله فكان في قلبه أحلى من الدراهم ، وأنفع لجراح البعد من المراهم ، فلما فض ختامه وحط لثامه أبصر فيه خط أجمل من رياض الميطور ، ولفظًا أرق من نسيم الروض الممطور، قد استفتحه سيدنا بكل لفظ مذهب، وذهب فيه من التعاظم إلى كل مذهب، وأرجو له ذلك من الله بحسن العون فإنه يقال إن الفال مقدمة الكون.

على أنه وجد بين جوانح الخادم من نار الشوق أجيجا، لو أن النار كلست الكلاسة... ويريد الخادم أن يطلق يده وقلمه، ويسابق بها لسانه وفمه، فإنه قد لحقه من الضجر والكلال ما يلحق الجحش الصغير إذا حمل أحمال البغال القروح وانضاف إلى ذلك استعجال حامله وتوثبه للرواح. ولقد فكر الخادم ليلة وصول كتابه إليه في سوء رأيه فيه وشدة حقده عليه، وبقي طول ليلته متعجبا من مطالبته له بالأوتار الهزلية بعد الزمان الطويل، وامتنع عليه النوم لأجل هذا إلى هزيع من الليل. ثم غلبته عينه بعد ذلك فرأى فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت، وكأن المنادي ينادي : هلموا إلى العَرْض على الله تعالى، فخرجت من قبري أيمم الداعي إلى أن بلغت إلى أرض المحشر، وقد ألجمني العرق، وأخذ مني التعب والفرق، وأنا من الخوف على أسوإ حال، وقد أنساني جميع ما أقاسيه عظيم ما أعانيه من شدة الأهوال ، فقلت في نفسي : هذا هو اليوم العبوس القمطرير .. فما انقضت أمنيتي حتى طلع عبدالواحد بن بدر من جانبي، وقال لي : الساعة رأيت عدة جوار يطلبونك ، مع بعضهم أولاد يزعمون أنهم منك، وأنت تنفيهم عنك، وبعضهم يدعي أنك بعتهم لغيرك وهم حبالى منك ... فبينا نحن في المحاورة وإذا نحن بمالك خازن النار قد هجم علينا،

وقبض على أيدينا... وسحبنا إلى النار، فارتعنا لذلك ارتياعا عظيما...وحانت مني التفاتة فأرى أبا المجد بن أبي الحكم عابرا وفي يده ورقة مذهبة حمراء، وهو رايح بها يهرول فسلمنا عليه، وسألناه عن حاله، فقال : لولا ملازمة الصلاة بين المقصورتين لكنت من الهالكين . إذا بضجة عظيمة من جنب المحشر والناس يهرعون نحوها مستبشرين، فملنا جميعا نحوها وإذا بحلقة فسيحة عليها من الأمم ما لا يحصى كلهم يصفقون ويزهزهون، وأربعة في وسطهم يرقصون ويلعبون، إلى أن سمعوا ووقعوا على الأرض لاينفسون ، فسألنا بعض أولئك الحاضرين، عن ذلك الفرح، وعن الأربعة الذين يرقصون، فقال : أما الثلاثة فعبد الرحمن بن ملجم المرادي، والشمر بن ذي الجوشن الضبابي، والحجاج بن يوسف الثقفي، والشيخ الكبير : أبو مرة إبليس فجار الخلائق وهم مجرمو هذه الأمة ..."[١٤].

إن هذا (المنام) للكاتب زاخر جدا بالقضايا الفكرية والتاريخية والدينية مما يخرج عن نطاق الحديث عنه، لكن يدخل فيه : أن الكاتب استمد إطار (المقامة) فإن نقل ميدانها من عالم الواقع الدنيوي، إلى عالم الغيب في (الآخرة) فقد وظف شكل المقامة ، في الصياغة العامة. أما في الشخصيات فقد بقي موزع الرؤى بين الشخصيات الواقعية التي مرت في حياة المسلمين مثل (ابن ملجم) و(الحجاج بن يوسف) والشخصيات الخيالية التي كانت بكثافة ، سواء منها البشرية أو سواها. إلى جانب ذلك استمد (الوهراني) عنصراً آخر من تقنيات(المقامة) وهو حرصه على السجع، وطلبه الغريب اللغوي، مع ميل تعليمي واضح، في ذلك وفي سواه : في شؤون التاريخ والعقيدة، والإيمان.

إن كانت إذن ظلال المقامة لا تكاد تبرح محطة في هذا المجموع لابن محرز فإنها شكلا ترد في نحو أربع مقامات . هي وغيرها في هذا المجموع تعبر عن ميلاد هذا النوع الأدبي في الأدب الجزائري لأول مرة في القرن (السادس) الهجري (الثاني عشر) الميلادي. لقد

كان للوهراني فضل التأسيس لهذا النوع في الأدب الجزائري، لكن بعدما غادر وطنه؛ فلماذا أولا؟ ثم ما طبيعة هذه المقامات ؟ ما شكلها الفني؟ ما علاقتها بمحيطها ومبدعها ؟.

لقد تصدرت (المقامة البغدادية) كتابه ، ويبدو أن هجرته كانت سببا في إبداعه هذا ، ولو بقي الرجل في (الجزائر) ما كان (المحيط) يسمح بتفتيق موهبته ، فاطرد في هذه الفترة المناخ المناوىء لإبداع الكاتب في (الجزائر) فلا يكاد المبدع الموهوب يقبل على محيط ثقافي صحي خارج الجزائر حتى تتفجر إمكاناته ، فيكبر عطاؤه ، ويجود فنه ، ويحظى بالاهتمام والتقدير، وهو ما حدث للوهراني، كما حدث لسابقين له أمثال (بكر بن حماد) ، ولاحقين أيضا أمثال (المقري). و(المقامات البغدادية) صورت ملامح من حياة (الوهراني) نفسه، كما صورت ما آلت إليه الأوضاع في (المغرب العربي) من صراعات على (الحكم) الذي انتهى إلى الأيدي (الموحدية) فهو يعلن في مطلع مقامته أنه شد رحاله إلى (المشرق العربي) بعد سوء الأوضاع في بلده، حتى وصل (بغداد) حيث أرشد إلى كتبي أديب فاضل يسمى (أبا المعالي) شخصية حقيقية، توفيت سنة (٥٦٨هـ) فحاوره عن الأوضاع في (المغرب العربي) وفي (مصر) فذكر له سقوط (الدولة المرابطية) تحت ضربات (الدولة الموحدية) وخروج (صقلية) من أيدي (المسلمين) إلى أيدي (النورمانديين) الذين استفادوا من خلاف المسلمين على الحكم فيها وصراعهم، كما أعطى تقييمه لانهيار الدولة الفاطمية في (مصر) ووصول الحكم (الايوبي) فقال مجيبا صاحبه (أبا المعالي) عن (الفاطميين) " أعلم أنه لما احان الله حينهم أظهر شينهم، وألقى بأسهم بينهم ، فضرب زيد عمروا ، وقتل خالد بكرا ، وكسر قراب السيف، وأغمد في الشتاء والصيف، فما انقشع فسادهم حتى فنيت آسادهم، ولا برح عنادهم، حتى تفرقت أجنادهم؛ فقصرت حبال الدولة عن ربطها ، وضعفت رجالها عن ضبطها ، فبقيت كالجارية الحسناء التي أبرزها الحجال، وأسلمتها الرجال... وسبق إليها رجال الفرنج، فصيروها كرقعة

الشطرنج يجوسون خلالها، ويتفيّأون ظلالها فأنف من ذلك ذوو الأحلام وملوك الإسلام فانتدب لها من بني شادي الأسد الهصور، والملك المنصور - وهو عم صلاح الدين الأيوبي - فرماها بهمته... فلما انتهى إلى كماله وبلغ في النهاية من آماله وفاز بالرضوان في قربه انتقل إلى ربه، وأجمع الناس بعد موته على تخليدها في أهل بيته، لما يعلمون من رياستهم، وحسن سياستهم، وما يخبرون عن سماحهم وطول رماحهم، فاتفق أهل الحل وأرباب العقد والحل، بعد النظر في الأواصر، والاختبار للعناصر على تخليدها لابن أخيه الملك الناصر (وهو صلاح الدين الأيوبي) الذي حكم في الفترة الممتدة بين ٥٦٧ و٥٨٩ للهجرة لما جبل عليه من حميد الأوصاف، وإيثار العدل والإنصاف"[١٥].

إن حديث (الوهراني) كان حديث الرجل الذي عاش فترة في (مصر) فأدرك أوضاعها كما فهم الأوضاع في الغرب الإسلامي ، وقد أبلغ عن ذلك في حديث عام مع شخصية معروفة، غير خيالية في (بغداد) فصورت (المقامة) رحلته من (المغرب) إلى (المشرق) وجاءت في شكل (مقامة) لكن أبطالها معروفون تاريخيا، وأبقى فيها على جانب (الاستعطاء) فلم يكن ذلك (الاستعطاء) هنا صورة للكدْية لدى أبطال (الهمذاني) و(الحريري) وإنما في شكل تكسب بالأدب ، كشأن الشعراء على أيامه، متوسلاً بفنه الأدبي، وقد أعلن ذلك صراحة في مقدمة (البغدادية) حين قال "جعلت مذهبات الشعر بضاعتي، ومن أخلاف الأدب رضاعتي، فما مررت بأمير إلا حللت ساحته، واستمطرت راحته، ولا وزير إلا قرعت بابه وطلبت ثوابه...". ولذا فحين التقى (الوهراني) الشيخ (أبا المعالي) في (بغداد) شرع يسأله عن رجال الحكم ومنهم الذين يمكن التقرب منهم ، فسأله : " فما تقول في عضد الدين ؟ فقال : جبل حلم راسخ، وطود علم شامخ، وسهم رأي صائب ونجم عدل ثاقب... فقلت ما تقول في حلول بابه واستمطار سحابه؟ فقال : والله لو قصدت باب الوزير، لأمطرك من وبله الغزير... ويزري عندك بمن لقيته من الأمراء،

ومن شاهدته من الوزراء ، فقلت له : إذن والله أشكره شكر الأرض للسماء، والروض الزهر للماء، ولاسيا إن أخذ لي من الخليفة خلعة سنية منيفة، أستضيء باقتباسها، وأتبرك بلباسها، وأنشرها على منار الإسكندرية، وأطرحها على ساحل المرية، وأكبت بها الأقران في وهران، وأطلق بشكره اللسان في تلمسان، وأدعو له في مدينة فاس على عدد الأنفاس، وأثني عليه في آغمات إلى وقت الممات".

في هذه الفقرة ما يؤكد النية المسبقة لدى (الوهراني) في العودة إلى وطنه مروراً بمصر، على نفس خط الذهاب، لكن الأيام انتهت به إلى إحدى قرى (دمشق) خطيبا في مسجدها حتى لقي ربه. لقد وصف (الوهراني) جوانب من رحلته وصفا لماحاً في شكل مقامة، اعتمدت الواقع من دون خيال في عوالم الشخصيات إلا الخيال الأدبي في إبداع الصور الأدبية المتلاحقة، وهي صور لدول تنهار وأخرى تنهض، كاهي صور لأشخاص، وصفات لتلك الدول أو لهؤلاء الأشخاص، بجوانبها المختلفة : السلبية والإيجابية، المظلمة والمشرقة، في إطار من السجع الخلاب، قوامه الكلمات الأنيقة الخفيفة، القصيرة السريعة، التي لا يكاد الغموض يحتويها حتى تعود إلى سماء الوضوح : تجلي حقيقة، أو تعلن حلما، أوتحدّد موقفا من شخص أو قضية أو وضع . بدا (الوهراني) في ذلك طالب هناء في البال، تواقا إلى حياة أدبية واجتماعية ثرية، شديد الضيق بصور النفاق والغدر، وأشكال التكالب على الحكم ، التي كانت سببا في ضياع أقطار إسلامية بين أيدي أعداء الإسلام والمسلمين ، فاتضح أنه انطلق من (وهران) ذا توق إلى حياة (البلاطات) غير أنه سرعان ما انصرف عن تدبيج الشعر على أعتاب (الأمراء) إلى ضرب من النثر الحافل بالسخرية، فطرق بابا من الفن وصفه (ابن خلكان) بالقول إنه " ما سبق إلى مثله".

إذن كانت محطته الأولى (مصر) أيام (صلاح الدين الأيوبي) الذي حكم من (٥٦٧) حتى (٥٨٩) من الهجرة، ومنها انطلق نحو (بغداد) ويبدو أن موهبته في النثر

كانت أفضل من موهبته في الشعر، فلم يفلح في ولوج حياة البلاطات ، فانصرف إلى ضرب من القول، ضمّنه في جوانب شكلا من أشكال التعبير (الشعبي) على مستوى المضمون والصورة، لا على مستوى اللغة. الانصرف عن حياة البلاط إلى حياة الناس كما تعكسه نماذجه مما جعل صاحب (الأعلام) يقول : إنّ (الوهراني) اجتمع في (مصر) بأمثال (العماد الأصبهاني) ، ولم يكن من طبقتهم فعدل عن طريق الجد، وسلك مناهج الهزل، فأقبل الناس على أقواله ورسائله، وبدل أن يعود إلى (وهران) ظافرا بخلعة "سنية" من الخليفة ليغمره الصمت، آثر الانغماس مع الناس في الحياة تاركا أثرا أدبيا لم يلق بعد الاهتمام الضروري في بحوث ودراسات ، لا جامعية ولا حرة عامة.

هذا الهزل في كتابات (الوهراني) شمل أيضا مقاماته، فإن تراجع في (البغدادية) فقد حضر بقوة في غيرها ، وفي المقدمة تلك المقامة النقدية، في التعريض اللاذع بموقع المعالم الدينية وعلماء الدين، وصلتهم بالحكم، وقد أجراها (الوهراني) على (لسان جامع دمشق) وهو (أمير المساجد) التي تهرع إليه في الملمات ، فكتب (الوهراني) قائلا : " لماتحكمت يد الضباع في مساجد الضياع، وارتج باب العدل وأغلق ، ونبذ كتاب الله وخلق، فزعت المساجد إلى جامع جلق، وهو يومئذ أميرها، وعليه مدار أمورها ..."[١١٦] فأعلنوا إجلالهم له واحترامهم ، داعين له بالخير، لينهوا " إلى مجلسه السامي ما يقاسونه من جور العمال وتضييع الأعمال، ونهب الوقوف وتضييع الأعمال والسقوف ، وخراب الحيطان والسقوف، وقد ألفهم الظلم والظلام، وأنكرهم المؤذن والإمام، فلا تسمع لهم حسيسا ، ولاترى فيهم أنيسا ، إلا أذان البوم، وتسبيح الغيوم، وقد ركعت حيطانها وسجدت سقوفها وأركانها ، وانصرفت من الصلاة أربابها وسكانها ... ".

ثم تضيف (المساجد) تخاطب أميرها (جامع دمشق) : "قد فزعنا أيها الملك إلى بابك، وأوينا إلى جنابك ، فافعل معنا ما هو أولى بك ... فلما وقف الملك على هذه

الشكاية، وعلم بمقتضى هذه الحكاية : استوى جالسا في مقعده ، وضرب بيده ، وقال ... وهو يقلب طرفه في الجموع ويكفكف أسراب الدموع ... وأذن لهم في الكلام، فابتدأ جامع (المزة) المقال ، وتقدم بين يدي الملك وقال : الحمد لله الذي قضى علينا بالخراب، وصير أموالنا كالسراب، وجعلنا مأوى البوم والغراب ... أما بعد أيها الملك السعيد ثبت الله قواعد أركانك ، وشيد ما وهي من بنيانك، فإن الخراب قد استولى على المساجد، حتى خلت من الراكع والساجد ...".

وعلى هذا النحو يشرع كل مسجد يعرض متاعبه وهمومه، على الملك جامع (الأمويين) في (دمشق) فإذا ما انتهى الجميع ، تنحنح (الملك) " عجبا وحرك رأسه طربا، وقال : .... يا معشر المتكلمين ، وطائفة المساجد المتظلمين ، إنه والله لا ينتهي إليكم من الجور إلا ما يفضل عني، ولا يصل إليكم إلا ما يستعار مني، فلولا أن أركاني سليمة، وبنيتي قديمة، لأصبح جامع بني أمية يغني عليه : دار مية، وقد والله شرقت بغصتكم، وحرت في قصتكم ، إن رفعت أمركم إلى الملك العادل ردكم إلي الشيخ الغافل، فلا يراعي لكم حرمة، ولا يكشف لكم غمة، ولا يرقب فيكم إلاً لاذمة... والرأي عندي أن تكتبوا إلى الشيخ قصة ولا تتركوا في صدوركم غصة... فإن التأم رأيه برأيكم، وإلا فالسلطان من ورائكم، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم " .

فكتبوا على لسان (ملك الجوامع) بدمشق، إلى (الشيخ سعد بن أبي عصرون) قائلين : "أما بعد يا غدار، لقد هيجت الألم ، وأبهمت الظلم ، ومن استرعى الذئب فما ظلم ... طالما ... تغاضينا عن جنايتك ، حتى اكتنزت الأموال واختزلتها ، لقد عجبتُ أيها الشيخ من محالك في ابتداء حالك، من فساد أمرك عند آخر عمرك، ومن فساد دينك وضعف يقينك ...". فأشبعوه وابلا من المثالب ليجيء رده، كما صاغه الوهراني قائلا : "

فلما وصل الكتاب إليه، وقرأ ما انطوى عليه، فكر وقدر، فقتل كيف قدر، ثم نظر ثم عبس ثم أدبر، واستكبر، ثم لعن المساجد وبانيها، وشتم المشاهد وقانيها، ثم قلب الرقعة وكتب فيها :.... وصلت رقعتك أصلحك الله كأنها ضربة موتور أو نفثة مصدور" لينتقل إلى ضرب من الشتائم حتى الفحش اللفظي، ويبعثها إلى لسان حال (الجامع) الذي استقبلها، فقام "وقعد وأبرق وأرعد، وقال : اكتب يا غلام، باسم الملك العلام، من العاتب الواجد إلى الملك العادل... أنت تعلم أن الله قد طهر بقعتي وكرمها، وشرف بنيتي وحرمها... فأنا المشرف في كل قرآن والمعظم في كل أوان، فكيف يسعك أيدك الله أيها الملك التغافل عن حالي، والتحين لنهب أموالي، ويدك مبسوطة في العباد، ومطلقة في جميع البلاد، ما يكون جوابك يوم النشور، إذا بعثر ما في القبو ...".

وينهي (الوهراني) مقامته (الرسالية) هكذا " فلما وقف الملك العادل على كتابه وتجرع كأس عتابه التفت إلى المساجد فرثى لهم وسدد أحوالهم ، ولما علم فحوى شكايتهم وعرف كنه قضيتهم، أزال عنهم ظلمهم، و(أسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) ثم نظر إلى ابن أبي عصرون، فأنزله واعتزله، وحجبه عن بابه واختزله، وألقاه في سجن الصدود ، وخلده فيه إلى يوم الخلود، وقرأ عليه ألاَ بعداً لمدين، كما بعدت ثمود، والسلام ".

الجوانب التاريخية والاجتماعية عديدة، كما أن عناصر الرمز في هذه (المقامة) إلى (السلطة) و الفساد الأخلاقي والاجتماعي فيها كثيرة، كما هو شأن الانحراف في الدين .

استغل الكاتب في ذلك أسلوب الحوار بالخطاب المباشر، وبالبريد تذهب فيه الرسالة بلغة، وتعود بأخرى، بمستوى متحايل أو مخاتل، استخدم الكاتب في ذلك سجعا، مجرداً من المساجد شخصيات ناطقة بلسان (حال) لوضع ، و(مآل) لقيم في العمل والإخلاص ، والوفاء في خدمة الناس، مع التقيد بشرع الله الذي تنسى فيه الأهواء السياسية، والمآرب

الدنيوية. حرص (الوهراني) في ذلك على تضمين (النص القرآني) تارة موظفا، وتارة يرد بطريقة اعتباطية عشوائية، استسلاما للنسق اللفظي وحده .

لقد لجأ (الوهراني) في مقامته (المسجدية) إلى ضرب من الإيحاء والترميز، على لسان حال (المساجد) وهي تهرع إلى رئيسها (مسجد دمشق) لرصد امتعاض من أوضاع متدنية هجرت فيها المساجد (فقل الراكع والساجد) لله ، فتطلب الأمر خطابا إلى (فوق) لدى (الشيخ) الذي لقى (تأديبا) من (الملك) الذي اتخذه (كبش فداء) لتغطية قصوره، وضيقه بالعلم ورجاله، والدين ومراكزه، فيبقى لسان حال (المساجد) لسان أمة أولا، وعلماء دين ورجال ثقافة وفكر . ثانيا، قدرها المعاناة المتعددة الوجوه، خصوصا حين تلقى الضيم من حكام جهله معادين بطبعهم، ولطبيعة مستواهم جهلة غير أن الكاتب لم يوفق في بناء المسار الحواري، في سياق الأحداث انطلاقا من (انتفاضة) حال (المساجد) وانتهاء بقرار (الملك) ومصير (الشيخ) فبدت التجربة أقرب إلى لعبة عشوائية ، بقيت تعوزها عناصر كثيرة مختلفة للتمكين لها بلغة الفن والأدب : حدثا، وصورة ، ورمزاً .

لقد كان (الراوي) في (البغدادية) ضمير المتكلم معلنا هجره لمغاربه، وحلوله (بغداد) وأسند الكاتب الضمير في المقامة (المسجدية) إلى مجهول مطلق بتعبير عام هو " قال بعض العارفين ... لما تحكمت يد الضباع في مساجد الضياع " ليجرد من المساجد شخوصا ناطقة بحال ومآل. أما "مقامة في شمس الخلافة " فقد استدرج اسم (عيسى) لدى (الهمذاني) لكنه بدل أن يكون (عيسى ابن هشام) انكرة صار لدى (الوهراني) : (عيسى بن حماد الصقلي) وبقي رغم الصفة (نكرة) مع بعض الملامح التي تكاد تقترب من شخصية (الكاتب) لارتباطها بظروف رحيله من (المغرب العربي) إلى (المشرق) وهي صفة يشاركه فيها من دون شك آخرون : هاربون بأفكارهم ومعتقداتهم، من المنطقة نفسها

أي بالغرب الإسلامي عموما، يومئذ ، بما فيه (الأندلس) و(صقلية) فيفتتح المؤلف مقامته هكذا: " حدثنا عيسى بن حماد الصقلي ، قال لما اختل في صقلية الإسلام وضعف بها دين محمد عليه السلام ، هاجرت إلى الشام بأهلي، وجعلت جلق محط رحلي، فدخلتها بعد معاناة الضر، ومكابدة العيش المر، فلما انجلى فيها سراري، وقر في بعض محلاتها قراري... رأيت معي في الحارة ..."[١٧] إلى آخره .

فالملاحظ هنا أن الجملتين الأخيرتين بنصهما الحرفي استعملها الكاتب في المقامة (البغدادية) وهو حين حل (بغداد) هناك وجد مواطنا عالما ، من البلد يحاوره، أما هنا فقد قابل شخصا شرع يتفحصه، يملأه العجب ويدعي مشرقية، بينما استقر في انطباع (ابن حماد الصقلي) أن صاحبه من (المغرب) ودفعه الفضول إلى تلمس اليقين من صديق له ، "فقلت عرفني مربضه وأي بحر لفظه، فقال : أما الطينة فمن قسنطينة وأما القبيلة فمن زويلة وأما النحلة فمن حمير الفحلة". فهو إذن عربي من (الجزائر) قدم من مدينة (قسنطينة) وجد نفسه في حاجة إلى المال ، فساقه القدر "إلى عجوز مغربية، متحكمة في خمسين صبية، تعلم البنات الغزل، وتجنبهم المجون والهزل" فتعلقت به، حتى تزوّجها، وأصرت على أن يكون فقيها، وهي تدفعه للقراءة والدرس، فيعلن لها أنا " والله ما أفرق بين الحروف وبين قرون الخروف " لكنها تصر ، بحثا عن مهابة لها وله، فلا يجدي تمنعه خوفا، واكتفاء بحاجتها الطبيعية فيه ، فيطلب نصحها للظهور بمظهر العلماء : " فقالت خذ اللفظ بأناملك من شفتيك، وزاحم الفقهاء بمنكبيك ، وابصق في وجه الشيخ ولا جناح عليك ... اجسر على القوم فما هو إلا بياض اليوم، واعلم أن الفقه ليس هو شيء غير النفاق والزعاق، وتلويث وجه الخصم بالبصاق" فاستقر في نفسه: أن العلم رياء وادعاء ومظهرية ووقاحة ونفاق، وهي أمور وجد نفسه يتوفر عليها ، فقال لها : " إن صدقت فأنا أكون إمام الوقت. وقام في ذلك الأوان حتى دخل على الفقهاء في الإيوان، فهابته قلوب

الجماعة، وخافوا أن يكون من أهل البراعة، فأنصفوه في السلام، وبسطوه بالكلام، وانسوه بالمحاضرة حتى جاء وقت المناظرة، فحينئذ برز بالوجه الوقاح والإفك الصراع ... فوقع الناس في البلاء، وعلموا أنه دلو من الدلاء ، وتحققوا أن الرجل كالسطل لا يصلح إلا للإصطبل...". وهكذا ينحو (الوهراني) نحوا ساخرا في تقديم شخصياته، في صور مضحكة ، تهكما بها في آمالها السطحية، وطموحها الأهوج، وأهوائها السخيفة، فمثلما بدت العجوز (المغربية) امرأة سخيفة الأفكار والأهواء، بدا صاحبها: جلفا مغرورا، أنانيا في كل الحالات ، مما جعله في نهاية المقامة ينقلب عليها، وهي التي حاولت أن ترفعه من الحضيض درجات، وعادا معا في الأخير إلى طبعهما : " قال عيسى بن حماد: ولما ارتفعت الهمة وامتنعت الذمة : تغير على زوجته بعد أن كان يفديها بمهجته ... رأيتهما يوما يشالقها وتشالقه، ويخالفها وتخالفه، ويقول لها : ألست تعلمين يا جيافة أنني لقبت من أجلك بزوج العلافة، فلعن الله الأشفار والأظفار، وما تحويه الأخصار من حانوت العطار ".

إن الوظيفة الفكرية الاجتماعية واضحة في سياق البناء ورسم الشخصيات في هذه المقامة، يبدو من خلالها التركيز على السخرية من المظهرية، وادعاء العلم والوجاهة الاجتماعية، غير أن تقنية البناء تبقى ضعيفة، فهذا القسنطيني بقدرة عجيبة يستحيل من شخصية غامضة يبحث (عيسى بن حماد الصقلي) عن فك ألغازها إلى شخصية تقع مكشوفة السلوك والروح والنوازع ، من دون نمو تتكفل به الأحداث في سيرها، رواية أو سردا ، أو غير ذلك، لكن حرص الكاتب على تعرية مظاهر الزيف والنفاق في قالب ساخر جعله مشدودا إلى موضوعه مرتبطا بفكرته من دون غاية أخرى فنية .

وهذه الجوانب يستمر أهمها في أقصر مقامات (الوهراني) وآخرها، وهي "المقامة الصقلية" التي يسند فيها الرواية إلى نفسه مرة ثانية كما فعل في أول (مقامة) بمجموعه

(المقامة البغدادية) فيفتتحها هكذا : " قال الوهراني دخلت مدينة صقلية في الأيام المتولية، فرأيتها محافل الأوصاف على طريق الإنصاف ، فعشقها شيطاني فأقمتها مقام أوطاني : فحضرت يوما في بعض بساتينها مع طائفة من أهل دينها وفيهم أبو الوليد القرطبي، سلطان الكلام يأمره فيوالفه ، وينهاه فلا يخالفه "(١٨).

لقد هيأ (الوهراني) لحدثه مكانا يجسد صور (المقامة) أو (المقام) لسماع حديث يدور، ونقاش يجري بين جماعة، جلوسا ، أو فيهم : الجالس والقائم، ولكن فيهم الشخصية التي تتجه إليها الأنظار أكثر من غيرها، هي هنا شخصية (القرطبي) ليسأله القوم : " ما تقول في القاضي ابن رجاء ؟ قال مصباح دجي، وشيخ علم وحجي، وهو بيت القضا، وكلمة عدل وحكم ورضا، نزه نفسه عن الولائم، فلا تأخذه في الله لومة لائم " وهي صورة إيجابية ناصعة : في النزاهة والتعفف ومراعاة الحق، سرعان ما تندثر أمام صورة أخرى سلبية، مباشرة بعد السابقة، حيث يورد القرطبي مجيبا سائليه : " غير أنه عظيم الشقشقة ، كثير البقبقة... يضيع مواقيت الصلاة، ويمنع يواقيت الصلات، لا يرثي للغريب ولا يتوجع ، ولا يؤسي ولا يسأل ولا يتفجع ، فنكب عن دراه فلأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ".

هاتان الصورتان المتناقضتان بناهما (الوهراني) ليسخر من (عالم بلا عمل) ومن (قول بلا فعل) ودفع الجماعة في (المجلس) ليتبع ذلك هو بسؤال آخر للقرطبي بحثا عن الإضحاك : يتعلق بوالد القاضي السابق الذكر : " قلت : فما تقول في الشيخ أبيه ؟ قال : كان رحمة الله عليه يتناعس على الخصمين ، فلا يوقظه إلا سلسله الكفين، ولو قبضت على أنفه بالكلبتين ...". فالمقامة علمية، بحثت عن صورة للعالم بين (أقواله) و(أفعاله) انبثقت فيها الأسئلة من عدة أطراف، وكان الطرف المجيب واحدا وحيدا، بدا

حجة ، في الحكم والتقييم ، ليكتسي الموضوع قيمة أخلاقية مبطنة بالفكاهة والمزاح من دون فحش في ذلك لينهيها المؤلف هكذا في صيغة وعظية " وذو الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيها ".

لقد كانت الفكرة السائدة في مقامات (الوهراني) الألحاح على الجوانب الفكرية في قالب فكاهي ساخر يبدو ضربا من اللهو، الأمر الذي جعل أحدهم يحكم عليه بالانصراف عن (الجد) إلى (الهزل) تعبيرا عن قصور في ذلك الجد، بينما مرارة الحياة بكل جوانبها المختلفة في وطنه (الجزائر) وخارجه كانت العامل الأكبر في هذا الجنوح إلى السخرية، فالانكسارات المتوالية، في الحياة الثقافية والفكرية، والاحباط في الحياة الاجتماعية والشخصية، والخيبات في الحياة السياسية والاقتصادية : كلها عوامل غير منزهة، جعلت الكاتب ينخرط في هذا الضرب من القول الذي اقتحم به ميدانا، لم يقلد فيه بشكل مباشر أحدا، وإن لم يتخلص من أثر ثقافته الأدبية والفكرية التي كان لها أن تمارس سلطاتها على أسلوبه وشخصياته ، ورؤاه أيضا .

من هنا نلاحظ أن شخصيات (المقامة) لدى (الهمذاني) و(الحريري) كانت مستقرة، وخيالية في الرؤية العامة، بينما هي متغيرة لدى (الوهراني) بعضها معروف وبعضها خيالي، فخضع في ذلك إلى الحاجة التي يمليها الموقف والرؤية، لا الشكل المعروف المتداول، ومن هنا كان السجع جزءا من الأسلوب العربي الذي غدا مرغوبا فيه، بكل ما فيه من زركشة وإشراق، وموسيقى عذبة، انطلقت من نموذجها القرآني، كنموذج معجز ببيانه وصورة؛ فضمن الكاتب (مقاماته) آيات من القرآن الكريم، كما طعمها بنماذج من (حكم) و(أمثال) وأبيات ومقطوعات شعرية. غير أن الكلمات (العامية الجزائرية) أساءت كثيرا، في مواقع عديدة للصياغة الأدبية؛ فهي ترد على قلم الكاتب في السياق، في غفلة منه

عن طبيعتها العامية، فتفلت لتندس بين الكلمات محدثة ارتباكاً للقارىء الغريب عنها، عن وظيفتها، خصوصا حين يفصلها عن هذا القارىء فاصل زماني كبير، أو فاصل مكاني شاسع، كما أن موقع (المقامة) تنوع بين (الثبات) كالحال في (المقامة الصقلية) وبين التبدل، كالحال في (المقامة المسجدية).

ولقد اختلفت لغة (المقامات) في كثير من المواقع، بين لغة معجمية جافة، ولغة أدبية ذات طلاوة، لكن في الحالتين : كستها روح الفكاهة، والتصوير (الكاريكاتوري) الساخر، وهو مولع بذلك إلى أبعد الحدود، حتى بدا أن ذلك غايته، مما انتهى به إلى ضرب من (الاحماض) بل الفحش، في عبارات وكلمات، وصور، من بينها ما ورد في الصفحتين (الثامنة والتسعين) و(المئتين وعشرين) غير أن الجدية والرزانة كانت أوضح في (المقامة البغدادية) ربما لجلال اللقاء وظروفه ، وطبيعة التطلعات في الموقف. وهنا يحسن أن نتساءل ماذا أضاف (الوهراني) لهذا الفن ؟ إن الإضافة الأساسية : أنها أول لبنة في هذا النوع الأدبي ، في الأدب الجزائري ، والرجل إن جاء بعد علمين في هذا الفن بالمشرق العربي. (الهمذاني) و(الحريري) فقد تميز بعمله، في شخوصه وأحداثه، وحتى أسلوبه، بلغته المختلفة المستويات، بمفرداتها نفسها . من هنا كان إبداع (ابن محرز الوهراني) جديرا بالتقدير، لا لأنه عكس جانبا من حياة عصره فقط، بل لأنه أسهم في إعطاء دفع متميز للأسلوب في الأدب العربي، و(الدكتور عبدالعزيز الأهواني) لم يخطىء إذن حين قال : إننا " لا نكاد نجد في النثر العربي القديم نصوصا فيها ما في كتابات الوهراني من حيوية وذكاء، ولمحات تعبر عن شخصية الكاتب، وتصور في دقة وبلاغة بعض جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية، في عصر من عصور التحول في المجتمع العربي" وهو القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) تاريخ ميلاد فن (المقامة) في الأدب الجزائري ، فماذا بعد (الوهراني) من إبداع في هذا النوع الأدبي ؟

لقد كانت (مقامات ابن محرز الوهراني) في القرن السادس الهجري تجربة أولى أصيلة بهذا الفن في الأدب الجزائري، وقفت في مستوى التجارب الأولى بالمشرق العربي، لكنها تميزت بنكهتها الخاصة، وتجاوزها الرتابة : تنويعا في الشخصيات ، من دون البقاء في أسر النمطية اللفظية والفكرية، فماذا بعد تجربة (الوهراني) ؟

إن النصوص التي انتهت إليها في فن (المقامة) بعد (الوهراني) حتى الآن تعلن فراغا كبيراً خلال أكثر من أربعة قرون، أي حتى سنة (١١٠٦هـ / ١٦٩٤م) وهوالتاريخ الذي كتب فيه (أحمد البوني) مقامته : " أعلام الأخبار بغرائب الوقائع والأخبار "[١٨]. فتكاد تكون النموذج الوحيد الأصيل - حتى الآن - خلال القرن الثاني عشر الهجري (السابع عشر الميلادي).

واسم المؤلف كاملا هو (أحمد بن قاسم بن حمد ساسي البوني) المولود بمدينة (عنابة) سنة (١٠٦٣هـ / ١٦٥٢م) من الأسر العلمية والثقافية في المدينة، حيث درس، كما درس في (تونس) و(مصر) و(الحجاز) وله مؤلفات عديدة، طرقي، ذو مكانة اجتماعية مرموقة في منطقته ، حج وتبادل الرسائل مع معاصريه ، من المثقفين والسياسيين ، حتى توفى بعنابة نفسها سنة (١١٣٩هـ/١٧٢٦م) تاركا عدة آثار، معظمها لا يزال مجهولا، ومنها رحلة حجازية، أما مقامته فقد سهر على نشرها : الدكتور أبو القاسم سعد الله ، ويتعلق موضوعها بأمر وساطة لدى (باشا الجزائر) لإلغاء آثار وشاية، سعى بها بعض من أشباه العلماء، من خصوم لأحمد البوني، وصديق له كان مفتيا في (عنابة) "سعوا ضدهما لدى الباشا فصدق هذه الوشاية، وعزل المفتي وأساء إلى البوبي"[٢٠] الذي كبر عليه احتمال الوشاية الكاذبة والإساءة البالغة ، فكتب مقامته تلك إلى صديق له يدعى الشيخ (مصطفى العنابي) انتقل إلى مدينة (الجزائر) حيث يتولى التدريس؛ وفيها يشكو آثار

الوشاية عليه وعلى صديقه المفتي المعزول ، لحسد تمكن من نفوس بليدة أكلتها الضغائن الرخيصة الدنيئة " فكيد العلماء ضد بعضهم والحسد والغيرة والوشاية ونحوها من مظاهر الضعف الإنساني، كانت وماتزال شائعة، وقد ذهب ضحيتها الأبرياء وارتفع بسببها الأغبياء".

يفتتح (العنابي) مقامته بالبسملة والصلعمة، مسندا الرواية إلى اسمه ، مثنيا بالحمدلة، وشكل براعة الاستهلال: " الحمد لله الذي جعل المصائب وسائل لمغفرة الذنوب، والنوائب فضائل لذي الأقدار والخطوب، وسلط سبحانه وتعالى على الأشراف أرباب الزور والفجور والإسراف... وبعد أيها العلماء الفضلاء، النبلاء الكملاء.... تأملوا ما يلقى إليكم من الخبر الغريب، وما يرسل الله تعالى على كل عاقل أريب، فقد ارتفعت الأشرار ... وانقلبت الأعيان، وفشا في الناس الزور والبهتان"[٢١] ، ثم يباشر موضوعه بحيثياته ونتائجه، مراعيا السجع في صياغته، وخفة العبارة وقصرها، قائلا :" بينما نحن في عيش ظله وريف، وفي أهنإ لذة بقراءة العلم الشريف، وفي صفاء من الأكدار، وهناء من صروف الأقدار : إذ سعى في تشتيت أحوالنا وقلوبنا، وهتك أستارنا وعيوبنا، من لا يخاف الله ولا يتقيه، فرمى كل صالح وفقيه، بما هو لاقيه ... ونسب لبعضنا من الكبائر والفضائح ما تصم له الآذان، وتجمد له القرائح... حتى أوصله لمسامع السلطان، فلم نشعر إلا ومكاتب واردة علينا من جانب الأمير بعزل صديقنا الشهير من خطة الفتوى، مع أنه ذو علم وتقوى، وانتهك جنابنا وضاقت رحابنا، وطالت يد الصائلين علينا، ووصلت شوكتهم إلينا ، ومزقوا منا الأعراض ، ولم يزالوا في إدبار عن الحق وإعراض".

لا يجد الكاتب مخرجا من معاناته النفسية إلا في كنف الضراعة إلى الله، معرضا بهؤلاء من (أشباه) العلماء الذي وصفهم بزمرة " أوباش أراذل، من كل مغتاب ونمام، أو

مرتاب أو تمتام" داعيا عليهم بالخراب والاندثار مذمومين مدحورين، قائلا بلفظه نصا " فضراعة إليك ، اللهم ، في تخييب آمالهم، وإفساد آرابهم وأعمالهم، وتعجيل خرابهم ، وتفريق أحزابهم ، وقطع آثارهم ، وخراب ديارهم ونفيهم من البلاد ، لأنهم أرباب بغي وفساد" في ضراعته هذه تشتد به الحيرة بحثا عن مخرج، فيبدع له شخصية متخيلة أطلق عليها اسم (منادي السرور) تحمل معها البشرى، لرفع السوء، ودفع الشرور، فاستبشر الراوي خيرا طالبا الإيضاح ، كما يعبر الكاتب في الفقرات الآتية التي نقتطع منها ما يلي : " فقلنا : يا هذا اصدقنا في هذه البشارة ، فإنك لدينا من أهل الصدق والإشارة ، وروايتك صحيحة وقريحتك بإبراز عرائس المعاني غير شحيحة ". " فأجابنا : عليكم بمن العزم سجيته والحزم سليقته وطويته، والعلم رداؤه والحلم لواؤه ، والأناة شأنه ، والكرم إيوانه، والخوض في العلوم النافعة طبعه وديدنه... العلامة السرسور سيدي مصطفى العنابي ثم الجزيري ... فإنه كشاف كربات ، فعال قربات ، يأخذ بيد الغريب، البعيد منه والقريب ، صاحب جناب فسيح ولسان فصيح ".

هكذا يعلن (أحمد البوني) طلب الوساطة من (مصطفى العنابي) بأسلوب أدبي اتخذ شكل المقامة، مجردا من شخصية وهمية الفعل المحرض الواثق في إمكانات صاحب الوساطة، لأنه ذو علم كامل، وأخلاق عالية، لا يتردد في فعل كل خير ، ملحا في اقتراحه التحريضي المشجع، المطمئن بقوله: "لو رفعتم إليه هذه الحاجة، لقضاها لكم بلا توقف ولا لجاجة، لأنه فاتح أبواب المعروف، وبذلك من الأنام موصوف، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وأيامه في الناس أعياد وولائم "، ولا يلبث (الراوي) حتى يعلن اقتناعه بصدق صاحبه، داعيا له بالخير في عبارات مسجوعة ، نَوّع في موسيقاها ،و في فواصلها، ومقاطعها، وهو يخاطب (المنادي) نصحا وبشرا : " قلنا له : يا هذا ، لوائح الصدق ظاهرة على صفحات أخبارك ، وروائح الرجا والظفر استنشقناها من آثارك، كأنك بشير يعقوب، أو كشف الضر

عن أيوب، لله درك ؟ ما أبلغ ما جئت به ، لدى كل عاقل منتبه، فقد شنفت أطماعنا وشرفت أسماعنا، وعلمنا علم ضرورة ويقين ، إنك من الناصحين المتقين، لأنك أتيت الأمور من أبوابها، وكسيت من التقوى أجمل أثوابها، زكى الله تعالى اقوالك وأفعالك، ولا جعلها في البرزخ أفعى لك، فهنيئا لك بماحصل لك من جميل الآثار ".

لقد اكتست مقامة (أحمد البوني) بطابع ديني، في أسلوب أدبي رشيق عموما، واتخذت لها شكلا إخوانيا ، فإن كان الراوي هو الكاتب نفسه، فإن الطرف الثاني بقي صوتا متخيلا، وكان المقصود بالخطاب الشيخ (مصطفى العنابي) الذي كان المعني بمضمون المقامة كلها، التي صبت في شكل أدبي، بروح دينية إنسانية إخوانية.

وقد بدا الموضوع في عين المؤلف على جانب كبير من الخطورة، كيف لا وقد كبرت الوضاعة في صفوف العلماء ، فبات أشباههم من الوصوليين والانتهازيين، والقردة والخفافيش سادة الحلبة، مسموعي القول والرأي، يؤخذ إفكهم وبهتانهم على علاته كأنه الحق المبين، وهو الأمر الغريب في الزمن العجيب، تكبر حوله علامة الاستفهام حين يستهدف أخيار الناس، فيلفق لهم الأكاذيب والأباطيل مما لا يصدقه العقل، من هنا جاء عنوان (المقامة) "غرائب الوقائع" في الجزء الثاني . أما الجزء الأول منها أي " إعلام الأحبار" فالمقصود به (الإخبار) الموجه للشيخ (مصطفى العنابي) الذي وصف بالحبر، و(الحبر) هو (العلامة) ذو الصلاح والتقوى، وجمعه أحبار، فهول الوشاية التي قام بها الأنذال ، هزت الكاتب فهرع لصاحبه متخذا شكل المقامة للتعبير عن انفعالاته؛ فلم يلتزم شكلها التقليدي بقدر ما استوحاه مع قصد تام للشكل ، كما عكس ذلك تعبيره في نهايتها بقوله " انتهت المقامة المسماة بإعلام الأحبار بغرائب الوقائع والأخبار" .

وهنا ينبغي أن نلاحظ أن الكاتب أنهى (مقامته) بإعلان تواضعه، متبوعا بذكر التاريخ الذي كتبت فيه المقامة في صيغتها النهائية، وهو تقليد خارج شكل المقامة، يضاف

إلى ذلك (الحمدلة) التي لم ترد مع (البسملة) و(الصلعمة) في مطلع (المقامة) ويحسن أن نورد ذلك زيادة في الإيضاح لتكتمل الفكرة، انطلاقا من خطاب المؤلف للقارىء، وهو يرجوه " أن ينظرها بعين الرضى، والتجاوز والإغضاء ، فإن بضاعة صاحبها في العلم مزجاة، وإنشاءاته منحطة في أسفل الدرجات" ليقول بعد ذلك مباشرة : " وقد فرغ منها منقحها الفقير المذكور ، ضاعف الله له الأجور، وقاه كل الشرور، وأخذ سبحانه بيده، وبلغه في الدارين إلى مقصده : في أوساط شعبان ، الذي اشتهر فضله وبان ، عام ستة ومائة وألف من الهجرة النبوية، على مشرقها أفضل صلاة وأزكى تحية. والحمد لله رب العالمين، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى".

مهما يكن من شيء فإن مقامة " إعلام الأحبار بغرائب الوقائع والأخبار " للبوني صورة من بين الصور التي تعطي انطباعا عن الحيوية التي لم تمت نهائيا في النثر الجزائري أثناء العهد العثماني، فأبقى الحس الإنساني المرهف على طلاوة الصورة، ورشاقة الكلمة، كما اطرد في ذلك فن المقامة كنوع أدبي وإن بشكل محدود، في ظروف أدبية تتسم بالركود العام، والتردد في بعض الأنواع، في مقدمتها المقامة. فماذا بعد (البوني) في هذا القرن بالذات ؟ وفي هذا النوع ؟ في القرن الثاني عشر الهجري نفسه ؟ لقد جاءت بعده عدة نماذج لكاتبين اثنين، هما (ابن ميمون) و(ابن حمادوش) كتب الأول نماذجه سنة (١١١٩هـ / ١٧٠٨م) وكتب الثاني عمله سنة (١١٥٦هـ / ١٧٤٣م). و(محمد بن ميمون الزواوي) من أسرة ثقافة وعلم ، كان معاصرا لداي (الجزائر) وهو (الداي محمد بكداش) الذي خلف (الداي حسين خوجة الشريف) حين عزله سنة (١١١٨هـ /١٧٠٧م) فجهز (بكداش) جيشا بقيادة صهره (أوزن حسن) لاسترداد مدينة (وهران) من أيدي (الإسبان) الذين كان قد مضى عليهم فيها (مئتان وخمسون سنة) وآزر (باي الغرب) في مدينة (معسكر) القائد (أوزن حسن) في الحملة، حيث تم لهما فتح (وهران) في يوم جمعة (٢٦/١٠/١١١٩هـ -٢٠/١/١٧٠٨م) فكانت هذه المناسبة التاريخية الوطنية

الدافع للشيخ (ابن ميمون) في كتابة مقاماته التي تضمنها كتابه "التحفه المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية" [٢٢] . وهو العمل الذي قام بتحقيقه الأستاذ الدكتور محمد بن عبدالكريم . حرص (ابن ميمون) على عرض فضائل (بكداش) وخصاله الوطنية، لما توفر عليه من حنكة وشجاعة وحس وطني، كان في مقدوره أن يذهب به بعيدا لو أمهلته العصابة العسكرية حوله (الانكشارية) التي تذمرت من تأخر في دفع رواتبها الخيالية، فاغتالته في (مارس ١١٢٢هـ/ ١٧١٠م) ونصبت (دالي إبراهيم) الذي أعدم أيضا بطل الفتح في (وهران) السيد (أوزن حسن). والخصال التي توفر عليها (بكداش) و(أوزن حسن) مكنت لحب الأول خصوصا في نفس (ابن ميمون) الذي ركز في كتابه " على سيرته إبان توليته وحكمه، كما خصص جل الكتاب لقصة الفتح الأول لمدينة(وهران)"[٢٣].

في مقدمة (المؤلف) لمقاماته الست عشرة تصريح بهدفه، ووعي تام بأنه يكتب مقامات تتضمن سيرة (بكداش) وتراعي الإطار الأدبي، بما فيه : من أناقة لغوية، وأسلوب بديعي، وأخبار طريفة، فيقول بعد حيثيات تقليدية في مقدمته : إنني " لما رأيت مولانا الإمام الذي أنام في ظل الأمان جميع الأنام ، عالم الأمراء ، وأمير العلماء ، مولانا فخر الدولة العثمانية ، وناشر لواء العدل على جميع البرية، أبو النصر السيد محمد بكداش، أنارت أنواره جميع البلدان ، والتف ملكه بالإحسان، التفاف الساق بالساق، أردت أن أخدم مجلسه العالي بزف هذا الكتاب إليه، المحتوي على ما نشر من السيرة المحمدية عليه، وأشرف محاسنه بمثوله بين يديه ؛ فوسمته باسمه ، وكسوته نور وسمه ، وأطلعت شمس النبل بأفقها، وأتيت ببضاعة الفضل إلى منفقها، ولم آل جهدا في تنقيحه وتأليفه، من صادق الخبر وصحيحه، على ما تجده فيه من ألفاظ لغوية، وأنواع بديعية، وأخبار مستلمحة وكناية مستملحة.. محتويا على مقامات ست عشرة، كأنها حكت قلائد العقيان

ودرره ، والله أسأل أن يتلقاه بالقبول... على أن أبناء هذا العصر ابتلوا بالحسد، ويطلقون ألسنتهم في كل مرصد، ومن كانت له ملكة فليصنف، وإلا فلينصف ".

إن هذه الفقرة من (المقدمة) تعلن الجوهر من (مقامات ابن ميمون) وهو يعتبرها مقامة حقا، أي كلاما يدور في مجلس، يجتمع فيه الناس، هم بين جالس وقائم، ينصتون لحديث يُروى ، فيه طلاوة أسلوبية، وطرافة لغوية، وأخبار مثيرة ، هي هنا أخبار (محمد بكداش) نفسه، ليسمع بها هو ذاته، يلتذ بأمجاده فيها، وخصاله، وانتصاراته، ابتداء من (المقامة الأولى) التي يعود فيها الكاتب بنسب (بكداش) إلى أصول عربية، وحلوله بمدينة (عنابة) وإقباله على العلم، وتحمله المسؤولية في النظام العثماني كما تصوره (المقامة الثانية) " فكان سنة أربع ومئة والف (١٦٩٣م) صعد المنبر، ووعظ الناس فيه وحذر، يقذف لسانه لؤلؤه المكنون ، ويصرف من بدائعه الأنواع والفنون؛ فلا يجارى في مضمار إحسان، ولا يبارى في بلاغة وبراعة لسان". فهو إذن خطيب بليغ وسياسي محنك - كما تصوره المقامة الثالثة - شخصية تترفع عن الوصول إلى المناصب الأعلى على جماجم الآخرين، من دون أن يتأخر لحظة عن تلبية نداء الواجب سنة (١١١٢هـ/ ١٧٠٠م) " إن لله قضايا واقعة بالعدل، وعطايا جامعة للفضل، أجراها على يد من هو للكمال أهل" فيصف الكاتب وصوله عن جدارة إلى منصب رئيس ديوان الإنشاء في (المقامة الرابعة) أو كاتب عام للدولة، سنة (١١١٧هـ/ ١٧٠٥م) "وهي حالة تدل على أناقته في الفخر، دلالة النسيم على الزهر، والشاطىء على النهر " فيورد الكاتب هنا : قصيدتين قيلتا في مدحه، وهو الذي بات ممجدا "ومازالت الناس تلقاه بالود على البعد، وتقدمه في الأعيان " وإن لم تره بالعيان ".

يتعرض (ابن ميمون) في مقامته الخامسة إلى سوء العلاقة بين (بكداش) و(الداي حسين خوجة) بفعل (الوشاة) فترتب عن ذلك نفيه إلى (طرابلس) سنة (١١١٧هـ/

١٧٠٥م)، ثم عودته سراً مع (جماعته) بمساعدة (باي تونس) استعدادا لعزل (الداي حسين) واستلام السلطة، وحين دخل ضواحي (الجزائر) مع جماعته "فشا خبرهم في البلاد، فأعمى الله وأصم أهل الفساد... حتى أشار صاحب الرأي السديد بالدخول صباحا من باب الجديد، فوقعت الواقعة، وما أدراك ما الواقعة " بنص (المقامة) في نهايتها.

هذه (الواقعة) هي التي رفعت (بكداش) إلى سدة الحكم، ونفت (حسين الداي) حتى اضطرته (أمواج البحر) إلى قرية (دلس) فلقي ربه في إحدى قرى القبائل، فوصفه الكاتب بمشير الفتن "ومن أوقد نارا صلي بحرها، ومن أسال دماء الفتنة غرق في بحرها" وهذا في (المقامة السادسة) التي تؤرخ لاستلام (محمد بكداش) السلطة، في (١٩ذي القعدة ١١١٨هـ/١٧٠٧م) فيقول الكاتب : "واستفتح الملك يوم الجمعة، والناس ينتظرون مجتمعه، فلما طلع عليهم بدره بين أنجمه ، تأسفوا لقلة وفده، ولم يعلموا أنه اعتمد على قوله تعالى : "إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده " وماأحقه بقول القائل من شعراء الأوائل (السموأل) :

وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز ، وجار الأكثرين ذليل

فلما رأيت ما أخذهم من الذهول، وسمعت شهادتهم بأن وصفه تتحير فيه العقول، أنشدت متمثلا :

الله أكبر أي شيء حزته حتى استكان لأمرك العظماء

شهدت لك الأعداء أنك ماجد والحق ما شهدت به الأعداء

وبويع له بالخلافة، وما أعظمها خلافه، وأبو الفتح صهره الأمير حسن يفعل بين يديه كل حسن، من الذب عنه بسيفه ولسانه، والفتك بمن يروم الخروج عن سلطانه"[٢٤].

يخصص الكاتب المقامة السابعة من مقاماته (البكدشية) للحديث عن "اسمه وأهل مملكته" فهو"أمير المؤمنين محمد بن علي بن محمد الشريف، الحسني، النكداني، ملك رفع للأقمار لواء، وألقى على شمس النهار بهجة وضياء" كما يتحدث عن صفاته الجسمية والمعنوية، وأبنائه، وأصهاره، منهم "أبو الفتح حسن.. طويل النجاد، قوي العزم لا يرده عن أمره راد، أكرم الناس عطاء، وأولاهم حياء" فهو أحد قواده وزرائه،إلى جانب كتابه وقضاته الذين أسهب الكاتب أيضا في صفاتهم، لعل أهمهم "قاضي العسكر المنصور، حامل لواء الشريعة المنشور : أبو حفص عمر بن الفقيه ... ضربت الأمثال بنباهته، وسارت الرفاق بظرافته... فإذا نثر وسجع ، وردد الفقر ورجع، وكتب ونكت، وأجاب وبكت، وأما وأشار ... وأوجز وحرر، وأصّل وقرر، وأعاد أحرز ذوو ابن أبي الخصال، وشهر في ميدان البلاغة النصل" فبعد أن وصف هذا الفقيه بصفات جامعة منها إحرازه (ذوق ابن أبي الخصال) الغافقي الأندلسي، الوزير الشاعر، المولود سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٣م) يصل إلى سبقه وقصور الغير دون صفاته: فهو الذي " تقاصرت عنه اليواقيت والجواهر، وسلمت له في الحسن الحدائق اليانعة والازاهر " ثم يصل إلى ما قيل من شعر في تهنئة (محمد بكداش) باعتلائه كرسي الحكم، فكان ذلك موضوع (المقامة الثامنة) وقد امتدت على مساحة مئة صفحة، وصفحة زيادة عن المئة. أما المقامة التاسعة، فللحديث عن "الخروج لوهران بقصد غزو الكفرة، وما حدث بعده من مقاتلة اللئام الفجرة " وهي الحملةالتي أعدها (بكداش) لاسترداد وهران من (الإسبان) الذين أذلوا مسلمين ونصروا آخرين مدة (خمسين ومئتي سنة): "فكم من عالم أسروا ، وكم من شريف نصروا، وكم من عروب أتراب تولغ فيهن الكلاب" وأسند الأمر لصهره (حسن أوزن): "نصره الله وأيده ، وخلد ملكه وأيده... ثم ارتحل من الجزائر بالعسكر المنصور، ورياح النّصر تضرب اللواء المنشور" فكان حصار (برج العيون) موضوع (المقامة العاشرة) حيث "حاصر هذا الحصن حامي حمى الدين وعاضده، وقاطع ضُرّ المعتدين وحاصده، الذي هد بعزمه الجبال الشوامخ، واجتث بحزمه الأصول الرواسخ، الأمين المؤتمن : السيد (أوزن حسن) وذلك في ليلة النصف، من

شهر ربيع الأول... سنة تسع عشرة ومئه وألف..." تلاه (حصن الجبل) موضوع المقامة الحادية عشرة) أما (الثانية عشرة) فعن حصار (حصن بن زهوة) أو (برج اليهودي) حيث أمر القائد (أوزن حسن) "بحفر اللغم" كي يزول عن المسلمين "الحزن والغم" ليصل إلى الفتح الأول لمدينة وهران فيصفها (ابن ميمون هكذا): "لاشك أنها مدينة بلقاء الشهرة، وغاب البسالة ومنبت الشوكة، وعقاب القواعد المغتصبة للمسلمين، ومحطة طائفة العرب العامريين، الخصيبة النبات، والمستبحرة الماء والجنات... مدد الوفود والكروم التي استثمرها الروم ... لا يخفي أنها كانت شجى في حلق الدين، وغذى في أعين المسلمين...." وهي في أيدي الكفرة المجرمين، حتى تم فتحها "في اليوم الأغر المحجل من شوال سنة تسع عشرة ومئة وألف : ١١١٩هـ " (٢٠جانفي١٧٠٨م) ففجرت المناسبة قرائح الكتاب والشعراء ، ثم تهاوى : برجا (الأحمر) و(الجديد) كما تذكرهما المقامة الرابعة عشرة ، بينما كانت المقامة الخامسة عشرة عن حصار حسن المرسى وكيف افتتحه المسلمون وزال باختتامه الأسى : فقال الكاتب " ولما فر من المدينة الكفرة ، وزعموا أنهم ناؤوا عن الذل والمحقرة، وأنهم إذا تفاقم عليهم الأمر، يفرون في البحر، فذهبت السفن من عندنا تحاصرهم ، والمسلمون في البر تطاردهم ... فكانت هذه فتوحات منظومة العقود، معقودة النظام ". هزت هذه الانتصارات الشعراء بشكل خاص، فأورد (ابن ميمون) نماذج لهم تشيد بالنصر، ويختم مقاماته بالسادسة عشرة ، ليصور فيها عودة (أوزن حسن) معززا بالنصر، مصحوبا بفخر عن استبسال (جيشه) في عمله الجهادي الذي افتك المدينة من قوى الكفر والبغي، فينتقل إليها (باي الغرب) : (مصطفى بوشلاغم) ويتخذها مركز السلطة في (الغرب الجزائري) ويبقى الكاتب ملتزما السجع ، منوعا في مقاطعه، وجمله حريصا على التمكين لقيم الجهاد والنصر ، قائلا منذ مطلع (المقامة) : " شرف باذخ، ومجد شامخ، عقد النجوم ذوائبه، وأوخز في مفرق النسر ركائبه استفتح وهران، وانبلج صبح النصر وبان، وقفل وألويه النصر عليه خافقه، واسواق الظهور نافقه، وألسنة الشكر

والحمد ناطقة، والظنون في فضله الصادق صادقه، والكفر قد ذل واستكان، ودخل عزه في خبر كان، وعز الإسلام قد ظهر واستبان، ورسا كما رسا رضوى وأبان". وقد ورد في آخر هذه المقامة إعلان تاريخ النسخ في النسخة التي اعتمادها المحقق (د. محمد بن عبدالكريم) " "أواخر جمادى الأخرى، عام إحدى وعشرين ومئة وألف من الهجرة".

إن مقامات (ابن ميمون) إذن بهذا الشكل إطار أدبي زاه لحكم (الداي محمد بن بكداش) وبطولة قائده وصهره (حسن أوزن) وهي في النهاية صورة للنضال الوطني الجزائري.

إن من مميزات مقامات (ابن ميمون) أنها تعالج أحداثا تاريخية، خلال الفترة : (١١١٨- ١١١٩هـ / ١٧٠٧-١٧٠٨م) كان محورها (محمد بكداش) ووصوله إلى الحكم، واسترجاع (وهران) من أيدي الإسبان ، فكتبت (المقامات) لأول مرة سنة (١١٢٠هـ / ١٧٠٨م) وتكرر النقل عن نسخة المؤلف بعد ذلك، في تواريخ، بعضها في سنة (١١٢١هـ/ ١٧١٠م) ومن خلال هذه المعالجة كان الهدف واضحا هو إجلال شخصية (بكداش) الذي غمره المؤلف بشتى الصفات المادية والمعنوية، نثر للمؤلف، وشعر له ، ولسواه من المعاصرين له ، في (الجزائر)؛ فالأحداث التاريخية واقعية ، لا ظل لخيال فيها، كما أن الشخصيات هي كذلك شخصيات معروفة، فما الذي يجعل نسبتها لفن المقامة أمرا ممكنا ؟

لقد أعلن (الكاتب) ذلك صراحة، فأثبت المقامات عددا، مرقمة باسم (مقامة) فهو إذن على وعي تام بنوع (المقامة) فاستمد جوها الذي يذيع بطولة، ويقصها ، ليجعل الكاتب من ذلك أداة للتسلية ورفع المعنويات، والاعتزاز بقيم الإباء والنضال، والنصر، والاستشهاد، مع الإشادة بالأريحية العربية التي تأبى الضيم وتنهض للدفاع عن حياض المسلمين، فكان (محمد بكداش) وصهره القائد (حسن أوزن) مثالا في ذلك استحقا فيضا

من الثناء في حشد من النثر والشعر في هذه المقامات، التي صار (بكداش) نفسه يقرأها باعتزاز، لتنسيه مشقة المعاناة اليومية في تسيير دواليب الحكم، التي لم تحل رغم وفائه وإخلاصه بينه وبين الانتقام منه، ومن صهره ذاته.

فهي حكايات حاولت أن تستمد الإطار في (المقامات) تتلى في محفل يتطلع لا إلى (مغامرات) تسول ولصوصية، بل إلى الأعمال الوطنية النبيلة الفذة، ينجزها ذوو إرادات صادقة، تثأر للوطن والدين والأمة، فعنصر الحكاية ، والسرد على مسامع في مجلس ، به قعود، أو يمكن أن يكون فيهم الجالس والقائم .

تتبنى هذه النماذج شكل المقامة اللغوي، والأسلوبي عموما، لكنها تبقى في جميع الحالات صورة ذات وجهين متألقين للوطنية الجزائرية الفياضة بعمق إسلامي، عربي ، حتى أن (بكداش) نفسه لم يقنع بنسبه الإسلامي ، فأصر على أن يكون في الوقت ذاته نسبا عربيا، ومن سمات هذه الوطنية : الحمية الجهادية العسكرية من جهة، وتهليل الشعراء للنصر الجزائري على الاحتلال الإسباني، أما الوجه الثاني، فإن هذه النماذج تبقى إحدى الصور المشرقة عن حركية الأدب الجزائري (شعرا ونثرا) في تفاعله مع الأحداث، وحيوية التعبير عنها بحرارة، وقوة هذا التعبير، وطلاوته، مما يجعله أدبا مقاوما للإحباط، صامدا لعوامل الانحطاط والتخلف، غير مستسلم للركاكة الفكرية واللغوية والأدبية التي كانت تجتاح مختلف مناحي الحياة، فتبقى تلك ضعيفة ركيكة لتعاملها مع قضايا (ميتة) أو تصوغها أقلام هزيلة، أو لا تحركها انفعالات صادقة جديرة بالإبداع بالكلمة والجملة، والصورة ، فضلا عن الموقف والفكرة والرأي.

فماذا بعد (ابن ميمون) في فن المقامة في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) ؟ أن أول نص في (المقامة) خلال القرن (الثاني عشر الهجري) أي (الثامن

عشر) الميلادي بعد (ابن ميمون) حتى الآن حسب علمنا، هو ما كتبه (عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري) ضمن رحلته المعروفة : (رحلة حمادوش الجزائري) المسماة " لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال"[٢٥] من تحقيق (الدكتور ابو القاسم سعد الله).

كتب (ابن حمادوش) ثلاث مقامات أثناء رحلته في (المغرب الأقصى) التي سافر إليها لغرض التجارة، غير أن المثقف الأصيل مهما كانت مآربه التجارية كثيفة أو خفيفة، يبقى الحس الإنساني ماسكا بتلابيه، ويزداد ذلك دقة حين يكون ذا موهبة أدبية، وهو ما يصدق على (ابن حمادوش) نفسه، فكتب رحلته المذكورة، وتضمنت ثلاث مقامات، كما تضمنت أخباره العديدة، ومنها صلاته بمعاصريه، من بينهم (ابن ميمون) السابق الذكر نفسه، الذي دعاه إلى بيته، ليطرح عليه لغزا في قصيدة مطلعها:

يا سيدا وله في العلم منزلة　　لما يحز مثلها في عصره أحد[٢٦]

و(ابن حمادوش) كان أثناء رحلته (في المغرب) يقرأ وينسخ، مصنفات وشروحا فقهية، ولغوية، وأدبية، من بين ذلك (مقامات الحريري) حيث يذكر في الصفحة الثمانين أنه بدأ قراءتها في المغرب، وأكملها في الجزائر بعد عودته، وهذا نص عبارته "في يوم الثلاثاء ختمت المقامات الحريرية التي كنت ابتدأتها في تطوان في بيتي، قرأت هناك سبع مقامات، وكملت الباقي هنا ".

كتب المؤلف مقاماته الثلاث، بوحي من هذا النوع الأدبي لدى الحريري، وتبقى بالنسبةله قليلة أمام إنتاجه الآخر، والمؤلف من مواليد سنة (١١٢٠هـ / ١٦٩٥م) والرحلة التي تضمنت مقاماته كتبت بين سنوات : (١١٥٦-١١٦٠هـ /١٧٤٣-١٧٤٧م) . فماذا يقول (ابن حمادوش) في مقاماته الثلاث؟ وكيف؟ .

في المقامة الأولى يتحدث عن انتقاله في (المغرب) مع بعض أصحابه، من (تطوان) إلى (مكناس) بلغة حاكى فيها سجع (الحريري) ولغته التي لم يرق إليها، وكان أحسن مقطع في مطلعها، حيث يقول : " الحمد لله طحى بي ضيق الأسباب، وهوى الاكتساب ، إلى أن خطرت من شدة الإياس، إلى بلاد الملك فاس، أخوض الغمار لأجتنى الثمار، وأقتحم الأخطار لكي أدرك الأوطار، وكنت لفقت من أفواه العلماء ووصايا الحكماء : أن الخطر غرور ، وأن المسافر مبرور، فشددت منطقتي لكي أدفع أزمتي، ورافقت اثنين من التجار، كأنهما من الأبرار، فاكترينا من حمار، كأنه أراد ابتدائي بالعار، فرددت عاره، وخبأت ناره، بما فيه أوطاره، حتى يحمد جواره " [٢٧] . وهو يكتب ذلك بوعي تام بالإطار الذي يكتب فيه، أي نوع المقامة، كما نلاحظ في تقديمه للمقامة الثانية حين قال :" في يوم الأحد ألفت المقامة " (الهركلية) أي الهرجية، نسبة إلى الهرج والصخب السوقي، حيث انتهى إلى (خان) هو موطن للرذيلة، يكون سببا للصخب والضجيج، وفحش القول، يقول الكاتب : " حدابي حادي الرحلة، إلى أن دخلت في بعض أسفاري في هركلة. فنزلت بها في خان، كأنه من أبيات النيران أو كنائس الرهبان، بل لا شك أنه من أبيات العصيان، فلذلك لا يسر به الناظر ، ولا ينشرح له الخاطر، فاختصصت منه بحجرة... وكأني وقعت من السماء في حفرة ، فغلقت بابي لأحفظ حياتي... وهدأت الأصوات وصرنا كالأموات...فلم يوقظني إلا جلبة الصوت وتداعي القينات، والتدافع بمنع وهات ... وهي تقول : فوالذي سهل علي السفاح ونصبني لكل من أراد ... لا برحت إلى الصباح على وجه وقاح، وتدفع المهر بلا سماح. فقلت : بعدا لهذا الجار ، ولا شك أنه بئس القرار، ولبئس الخان، كأنه حان ... ثم رجعت إلى هجعتي، ولم أدر من ذاك المجاور لبيتي، ولا ما وقع في تلك الليلة والتي ..." ثم ينهي الكاتب مقامته بقصيدة قصيرة جدا. أما المقامة الثالثة فقد امتزج فيها عنصر الشكوى والضيق، بالسخرية والنزوع إلى الوعظ الديني، وهو يعلن تجربة زواج غير متكافئة عاناه، فهو هنا يستمد تجربته ، من دون ضيق بما كان يعانيه في ذلك،

فبعد التقديم يقول : " لما أن جرى القضاء المحتوم، والأمر الملزوم ، بأن خف الريش، وأكل الجويش، ومضض العيش، ... وكثر الصرف وقصر الطرف ، وجفت الإخوان، وقلة الأخدان، وصعبت التجارة وسهلت الخسارة : قرنت بجارة غرة عيشتها مرة، البذرة عندها ذرة... لا يشبعها الجليل، ولا تعبأ بالقليل.... آمالها ظنون ورغبتها فيها لا يكون ... لا تجني إلا ثمرة الخلاف، ولا تركن إلا لعدم الإسعاف ... بيد أنها تسر الناظرين ، وتصبي السامعين، يصبو إليها الحليم، ويرنو إليها الكريم، أشبهت في شهل العيون يوسف الكريم، وفي القد الغصن القويم ... هذا وقد جمعت نظافة الإزار، إلى البعد، فيما أعلم عن العار، كأنها درة مصونة، أو جوهرة مكنونه، ونسأل الله أن يحفظ الباقي من العمر، كما ستر السالف مما مضى ومر ... اخترتها أما لأولادي، ونافقة لمطارفي وتلادي، علما مني أن الدنيا دار كدر، وقليل فيها ما يسر، نظرا لقول الصادق المصدوق : اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة، ولقوله تعالى : واصبر وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليهم، ولا تكن في ضيق مما يمكرون ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " فالتجربة إنسانية شاكية، يملأها الضيق بالناس والحياة، والأسف على ما اعترى العلاقات والقيم ، وما انتهى إليه أمره هو نفسه في ظروف صعبة قاسية، كثيرا ما شكاها (ابن حمادوش) في رحلته نفسها .

ولعل أول سمة تلفت النظر في مقامات (ابن حمادوش) هو أنها صبت في قالب حكاية، عن موقف في رحلة، في الأولى والثانية، وعن الخروج منها بخسارة في تجارة ترتبت عنها جفوة أصابته من الخلان والصاحبة نفسها التي ارتبط تعلقها به : بالمستحيل يقدمه قربانا لودها ، وحبها؛ فبطل المقامات إذن هو الكاتب نفسه، صاغها في قالب حكاية، راعى فيها سجعا، مستهدفا التقاط المفردات التي يبدو بعضها نابيا، فتسللت اللغة الدارجة نفسها كمفردات إلى عباراته المختلفة، التي كثيرا ما بدا عليها الثقل، ولم تسلم من الركاكة ، والغموض، وكان يختم مقاماته بشعر له، فيه ضعف كبير : بناء

وصورة، ومضموناً . فهو هنا دون معاصره (ابن ميمون) مسافات : سواء في الأسلوب ، أو في اللغة ، التي تتسم بالمتانة عند (ابن ميمون) والضعف والترهل لدى (ابن حمادوش) فالشيخ (ابن ميمون) أمتن عبارة، وأرقى أسلوبا ، وأجود صورة، وهو أمر طبيعي : لثقافتيهما كليهما ، فابن حمادوش : طبيب عشاب، يمارس الفقه، وابن ميمون مؤرخ أديب شاعر مجيد، في أدبه رشاقة، وقوة، وبعض الخيال في تجارب له ، حاولا معا توظيف أسلوب المقامة : حكاية أساسا ، ولغة ، بفهم خاص بهما لهذا الفن الأدبي، مع حرص شديد لديهما على أسلوب (المقامة) في مراعاة السجع، وغريب اللغة، مع ميل للإشارة عند (ابن ميمون) أحيانا، ومباشرة عند (ابن حمادوش) دائما. وعملاهما معا يمكن أن يكونا صورة ذات وجهين لمستوى النثر والشعر في العهد العثماني ؛ فالأدب ليس كله أدب ضعف وركاكة كما نرى أساسا في نماذج (ابن حمادوش) الشعرية خصوصا ، بل فيه قوة وحيوية وطنية ، وتعبير عن الواقع كما هو الشأن في معظم نماذج (ابن ميمون).

نخلص إلى أن النثر الأدبي في الجزائر - خصوصًا - في العهد العثماني : له أكثر من مستوى ، ففيه المستوى الجيد ، والمستوى الضعيف، مما يعني القراءة بعمق ويقظة، والحكم بحذر، وتحفظ على هذه الفترة من تاريخنا التي لا تزال في حاجة إلى البحث التاريخي الأدبي والدراسة والتقييم الموضوعيين ، وهو أمر منوط بهمة الباحثين المختصين الجادين دون سواهم، سلاحهم المنهج العلمي، والرؤية الموضوعية، والحكم النزيه .

الهوامش

١ - د. شوقي ضيف، المقامة، سلسلة (فنون الأدب العرب)، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م، ط:٤، ص:٢٤.

٢ - المرجع نفسه ، ص :٣٣.

٣ - الهمذاني، بديع الزمان ، مقامات بديع الزمان الهمذاني، شرح : الشيخ محمد عبده، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٥م.

٤ - د. شوقي ضيف، المقامة ، ص : ٤٥.

٥ - الحريري أبو محمد القاسم ، كتاب مقامات الحريري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، من دون تاريخ، (طبعة من الخمسينات) مجلدة ، تضم الرسالتين (السينية) و(الشينية) للحريري ، مع رسالة ابن الخشاب البغدادي، في الاعتراض على الحريري، وغيره ، ص : ٧ .

٦ - الوهراني، ابن محرز، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نغش، مراجعة وتقديم الدكتور : عبد العزيز الأهواني، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، مصر، ١٩٦٨م.

٧ - راجع : تصدير المصدر السابق، ص : ٩ .

٨ - محمد عبدالله عنان ، عصر المرابطين والموحدين في الأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٣٨٣هـ /١٩٦٤م، ط:١، ص : ١٦٠.

٩ - المرجع السابق، ص : ١٦٩.

١٠- الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ، ص : ٣.

١١- الزركلي خير الدين ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان، ١٩٨٠م، م:٧، ط:٥، ص:١٩.

١٢- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

١٣- الوهراني، المصدر السابق، ص : ٢٠٧.

١٤- المصدر نفسه ، ص : ١٧، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٩، ٣٢، ٣٥، ٣٦.

١٥- المصدر نفسه، ص : ٥ .

١٦- المصدر نفسه، ص : ٦١ .

١٧- المصدر نفسه، ص : ٩٧ .

١٨- المصدر نفسه، ص ٢١٩.

١٩- وهي مقامة صغيرة ، حققها ، وقدم لها الأستاذ الدكتور : أبو قاسم سعد الله، ونشرها في مجلة (الثقافة) الجزائرية، عدد : ٥٨، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م.

٢٠- مقدمة ، سعد الله ، المصدر السابق، ص : ٣٦ .

٢١- الثقافة ، الجزائر ، ع : ٥٨ .

٢٢- ابن ميمون، محمد الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن عبدالكريم ، سلسلة ذخائر المغربي العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٨١م.

٢٣- المصدر السابق، ص : ٨٣ .

٢٤- المصدر نفسه ، ص : ١٤٠ .

٢٥- ابن حمادوش ، عبد الرزاق ، رحلة ابن حمادوش الجزائري، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٣م.

٢٦- المصدر السابق، ص : ١٦٢.

٢٧- المصدر نفسه ، ص : ٧١ .